# المحاضرة الحادية عشرة أعلام الإستشراق (كارل بروكلمان)

ولد كارل بروكلمان في 17 سبتمبر 1868م في مدينة روستوك، وكان أبوه (ولد في 1826/10/13، وتوفي في 31 مارس 1897) تاجراً يتجر فيما يسمى سلع المستعمرات .Kolonialwaren ، وكانت أمه، كما قال عنها في ترجمته الذاتية " سيدة موهوبة روحياً، وهي التي فتحت لابنها آفاق الأدب الألماني. لكن ساءت الأحوال المالية لأبيه فعاشت الأسرة في ضيق.

ظهر ميل كارل إلى التعمق في الدراسات الشرقية قبل أن ينهي دراسته الثانوية في بلدته، فانتمى إلى جمعية يقوم أفرادها بقراءة بعض المجلات العلميّة الجغرافيّة.وكان أمله أن يعمل فيما وراء البحار طبيباً على ظهر سفينة، أو ترجماناً، أو مبشراً دينياً، ولهذا السبب كان يحضر دروس الأستاذ نرجرNergerمعلّم اللغة العربية في تلك المدرسة الثانوية، ويقول أنه اتقن العبريةَ إلى درجة أنه استطاع أن يترجم في امتحان العبرية في البكالوريا، نصاً عبرياً من سفر " عموص" غير مشكول ترجمة تلقائية شفوية. كذلك بدأ يدرس اللغة الآرامية الكتابية واللغة السريانية وهو لا يزال طالباً في الثانوي.

التحق بجامعة رستوك في ربيع 1886، لكنه كما قال: وفي الفصل الدراسي الأول، حضر إلى جانب دروس نولدكه في الشرقيات . دروس هوبشمنHubschmannفي اللغة السنسكريتية واللغة الآرمنية، ودروس دومشن J. Dumischen في اللغة المصرية القديمة .وفي اشتراسبورج تعرف إلى مدير القسم الشرقي في المكتبة، وهو أويتنگEuting، ولم يكن أوتينج . فيما يقول بروكلمن . عالماً كبيراً، ولكنه استطاع القيام بمغامرة كادت تودي بحياته، في شبه الجزيرة العربية بحثاً عن نقوش عربية. وكان يلقي في بيته دروساً عن النقوش العربية والخط العربي. ويقول بروكلمان إنه يدين له بكونه يكتب خطاً جميلاً جداً.

ونال بعدها شهادة الدكتوراه من جامعة ستراسبورغ. وبعد ذلك بعام كلفه أستاذه نولدكه دراسة العلاقة بين كتاب «الكامل في التاريخ» لابن الأثير، وكتاب «أخبار الرسل والملوك» للطبري. وقد نالت رسالته هذه جائزة تقديرية وطبعت في ستراسبورغ عام 1890م. فعين بروكلمان، إثر ذلك مدرساً متمرناً في المدرسة الثانوية البروتستنتية في تلك المدينة.

وأمضى صيف 1890مدرساً خصوصياً في بيت العالم الفسيولوجي جلوتسGlotsفي منزله الريفي في نويدورف .Neudorfوفي أول أكتوبر 1890عُيّن مدرساً في المدرسة البروتسنتية في اشتراسبورج أولاً تحت التمرينProbandesوبعد ذلك مدرساً مساعداً. وفي نفس الوقت واصل دراساته العربية. وبدعوة من نولدكه . قام في شتاء 1888 بقراءة القسم الأول من "ديوان لبيد" الذي نشره الخالدي في فيينا . نشر الترجمة الألمانية التي قام بها أنطون هوبر Anton Huber الذي توفي مبكراً، وبعد ذلك نشر القسم الثاني من هذا الديوان وما تبقى للبيد من شذرات وترجمه إلى الألمانية، مستنداً إلى دراسات تمهيدية أعدها هوبر، وهينرشتوربكه، وصدر ذلك كله في 1891.

ولكنه ما لبث أن تبين له أن لا مستقبل له في هذه المدرسة الثانوية البروتستنتية. ولهذا قرر " أن يبحر على البحر غير المأمون لوظيفة مدرس مساعد "Privatdozentur. أي أن يعد نفسه للانخراط في التدريس الجامعي. ومن أجل هذا انتقل في نوفمبر 1892 إلى برسلاو وحصل على دكتوراه التأهيل للتدريس .Habil.D.r.في 28يناير 1893برسالة عنوانها: " عبد الرحمن أبو الفرج ابن الجوزي: تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار . بحث ( في هذا الكتاب ) وفقاً لمخطوط برلين" ( رسالة دكتوراه التأهيلHabilitationisschrift، برسلاو، 1983). وفي تلك الأثناء أيضاً كان بروكلمان مشغولاً بجمع مواد لـ " معجم سرياني"، لأن الحاجة كانت تدعو آنذاك إلى وضع معجم سرياني Lexicon Syriacumالذي صنفه كستلوس( Castellusوطبع 1788) كان قد نفد منذ وقت طويل، كما أن تقدم الدراسات في النصوص السريانية كان يدعو إلى تجديده وإضافة الكثير من المواد إليه؛ ومن ناحية أخرى كان " كنز اللغة السريانيةThesaurus Syriacus " الذي أصدره R.Payne Smithولا يزال حتى اليوم خير معجم لهذه اللغة حافلاً بالكثير من المواد التي يمكن الاستغناء عنها؛ لهذا أقبل بروكلمان على وضع معجم جديد للغة السريانية فاستقرأ ألفاظ الترجمة السريانية للكتاب المقدسPeschittaوالأفرات و مواعظ مار أفرام السرياني، وكثير من النصوص السريانية الأخرى، وفي خلال ثلاثة أعوام وضع معجمه، وفيه زود كل مادة بشواهد من النصوص جعلت المعجم وثيق الأساس. وألحق المعجم ثبتاً لاتينياً سريانياً، مما جعله يتفوق على المعجم السرياني اللاتيني الذي أصدرهJ.Brunsاليسوعي في بيروت في نفس الوقت. وصدر المعجم السرياني Lexicon Syriacum لبروكلمن في فبراير 1895. وكان أدوردسخاوSachauقد دعاه للاشتراك في إعداد نشرة نقدية محققة لـ " طبقات ابن سعد "، والسفر إلى لندن واستنبول للاطلاع على مخطوطات هذا الكتاب. فسافر بروكلمان في أغسطس 1895 إلى لندن،

وفي سبتمبر سافر إلى استنابول، حيث أمضى شتاء عام96/1895. ولم يكتف بأداء المهمة الموكولة إليه الخاصة بطبقات ابن سعد، بل انتهز الفرصة فنسخ نسخة من " عيون الأخبار" لابن قتيبة. وفي فيراير 1896عاد إلى برسلاو . وكان بروكلمان مكلفاً تحقيق الجزء الثامن من " طبقات ابن سعد"، وظهر هذا المجلد بتحقيقه في برلين 1904، وقد طبع بعناية أكاديمية برلين التي تولت الإنفاق على الكتاب بكل أجزائه. أما فيما يتصل بنشر " عيون الأخبار"، فقد تولى أمره بنفسه ووجد فيE.Felberفي فيمار ناشراً مستعداً لتحمل نفقات الطبع بشرط أن يقدم إليه بروكلمان في نفس الوقت كتاباً آخر أوفر حظاً من الرواج، لأن النص العربي " لعيون الأخبار" لا يهم إلا القليل من المتخصصين في المكتبات العامة. وكان هذا الشرط، أو الاقتراح الشرط، هو الذي دفع بروكلمان إلى تصنيف كتابه العظيم : " تاريخ الأدب العربي"

وقد ظهر النصف الأول من الجزء الأول في 1897، والنصف الثاني في 1898، والجزء الثاني في 1902 .ثم أعاد بروكلمن طبع الطبعة الأولى في مجلدين مع توسعات كثيرة، وجعلها متمشية مع طبعة الملحق هذه، في ليدن، 1943- 1949.وهكذا أصبح الكتاب في وضعه النهائي مؤلفاً من خمسة مجلدات: المجلدان الأول والثاني: هما الأصل. والمجلدات الثلاثة الباقية هي ملاحق. والأصل والملاحق يشير كلاهما إلى الآخر ولابد من الرجوع إليها معاً في كل حالة .

أما الفكرة التي قام عليها هذا الكتاب فهي أن بروكلمان كان بطبعه يكره العرض الشامل، ويميل إلى التفاصيل الدقيقة. كما أنه رأى أن الوقت لم يحن لتصنيف تاريخ شامل للأدب العربي ( بالمعنى الأوسع: أي كل الإنتاج في كل فروع العلم، وهذا أمر ينبغي التنبيه إليه، فكلمة " أدب " في عنوان الكتاب تعني: مجموع ما كتب باللغة العربية في كل فروع العلم) لأن ما طبع منه قليل جداً بالنسبة إلى ما لا يزال مخطوطاً، كما أن القليل من هذا المطبوع هو الذي نشر نشراً علمياً نقدياً محققاً. ومن هنا أدرك أن كل بحث في تاريخ الإنتاج الأدبي والعلمي عند العرب يجب أن يسبقه، أداة له، كتاب شامل يسرد عنوانات ما بقى من هذا التراث، وما طبع منه، مع استثناء الكتب المجهولة أسماء مؤلفيها وما لا يمكن معرفة تاريخ كتابتها منها. وعلى رأس السرد المطبوع والمخطوط من مؤلفات كل مؤلف، تكتب نبذة قصيرة تتناول الوقائع المادية في حياة المؤلف، ويتلوها بيان بمكان ما ورد عنه من أخبار. و

وقدكان من الطبيعي أن يقع مثل هذا العمل الجبار في أخطاء عديدة وذلك في أرقام المخطوطات، وفي التوراريخ، فضلاً عن الأخطاء الناجمة عن المصادر التي استعان بها، وخصوصاً فهارس المخطوطات.

وصدرت سلسة عن " تاريخ الآداب في الشرق" ابتداءً من 1901، فشارك بروكلمان فيها بتاريخ موجز للأدب العربي، وأعيد طبعه مرة ثانية في 1909. كما كتب كتاباً آخر في هذه السلسة بعنوان: " تاريخ الآداب المسيحية في الشرق"، وفيه تناول تاريخ الأدب السرياني، وتاريخ الأدب العربي المسيحي. وقام بفهرسة مجموعة صغيرة من المخطوطات الشرقية في مكتبة البلدية في برسلاو و ( 1903) كما قام في السنوات التالية بفهرسة مجموعة ممتازة من المخطوطات الشرقية في مكتبة بلدية همبورج.

ذاعت شهرة بروكلمان في فقه اللغات الغربية منها والشرقية، قراءة وكتابة، كما اشتهر خاصة في أبحاثه وتأليفه وتعمّقه في التاريخ الإسلامي وتاريخ الأدب العربي، حتى عُدّ علماً من أعلامها. فعين أستاذاً للغات الشرقية في جامعات برسلاو و كونغسبورغ وهاله وبرلين. ثم عاد إلى برسلاو واستقر أخيراً في هاله.

اشتهر بروكلمان بنشاطه العلمي وإنتاجه الغزير، الذي اتصف بالموضوعية والعمق والشمول، والجدّة. مما جعله مرجعاً للمصنفين في التاريخ الإسلامي والأدب العربي. وقد انتخب عضواً في مجامع: برلين، لايبزغ، بودابست، برن، دمشق، إضافة إلى عدة جمعيات علمية آسيوية.

إضافة إلى الرسالتين اللتين قدمهما بروكلمان بين عامي 1890 و1893، للحصول على الدكتوراه من جامعة ستراسبورغ، والأستاذية من جامعة برسلاو، ترجم ديوان الشاعر لبيد إلى اللغة الألمانية، وذيله بالحواشي وجعله في جزأين ونشره سنة 1891 في ليدن.

ومن مؤلفات بروكلمان المشهورة كتاب "تاريخ الشعوب الإسلامية"، نشره عام 1939، ثم نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي عام 1948، وقد أُعيد طبعه مراراً. يمتاز هذا الكتاب بذكر الأحداث التي تعرضت لها الشعوب الإسلامية إبان حقبة لا تقل عن خمسة عشر قرناً. وكان المؤلف حريصاً على ذكر تواريخ تلك الأحداث. ووصف ما جرى فيها، مع ذكر الروايات المختلفة التي وردت في المراجع العربية والأجنبية الرئيسة.